Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل صار أسير وضعين متواحدين، يدفعان به باتجاه واحد، اتجاه العدم المطبق والمحو التام، الحافة موت والحية موت:

«يا سعدى انعدام التراخي، انعدام الانظلال، تصوري جسماً صفيقاً لا ظل له في الشمس. أنا هكذا، لم يبق لي ظل في الشمس ولا في الفيء ولا على الغد ولا من الأمس مربوط إلى الحافة والحية» (ص ١٥٤).

لقد انحل الكيان في ذاته، تهدم، خواء، وانعدم الكيان في زمنه ببعديه الماضي والحاضر، صار الزمن واحداً فقط ببعده الثالث، بالمستقبل، بالآتي، صار عدماً، موتاً.

لقد أمحى وجه الحضور والغياب في وجه واحد، إنه العدم الآتي، العدم المدمر لكل شيء، العدم المبتلع لكل شيء.

هذا الإمحاء ليس إلغاء لملحمية الصراع المأساوي التي تبيّنا معالمها في ما سبق لنا من كلام حولها، بل إنه تكثيف لها وتصعيد بها إلى أقصى درجات التأزيم والتعقيد.

الكاتب من الحرب أمام موقفين:

- إما الانسحاب إلى الذات، إلى منطقة الصقيع والعزلة والخوف والغربة والرعدة والجنون.
- إما العمل فيها، السير معها، الشهادة لها، والكتابة عنها تأييداً وترويجاً.

يوسف حبشي الأشقر يعاني جدلية التصادم العنيف بينهما، شاداً باتجاه الموقف الأول يدفعه إليه وعي مادي لحقيقة الحرب الواقعة، وضمير إنساني قيمي أخلاقي يدرك تماماً مدى انعكاس ذلك على ذاته من مآسي الكبوة والانهيار.

«الحرب تميت كل شيء وتكتب بالفحم ــ أي بالموت الأسود، بالعدم ــ على الظهور والأيدي والحباه والبطون والجدار كتابات ثخينة، وتكتب لكل واحد من إنساننا أن يحب ذاته، فقط ذاته في عزلة قلبه وخوفه وسرداب وحشته» (ص ١٥٥).